لمحات لغوية في آيات قرآنية

Linguistic Glimpses in Quranic Verse

إعداد الدكتورة

منيرة محمد علي حجازي

الأستاذ المساعد المتفرغ بقسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم- جامعة الفيوم

Prepared by Dr.
Munira Muhammad Ali Hijazi
Full-time Assistant Professor, Department of
Grammar, Morphology, and Prosody
Faculty of Dar Al-Ulum, Fayoum University

ملخص البحث

عُني البحث ببعض مفردات اللغة، وتتبع مسارها اللغوي في الاستعمال القرآني وفي أشعار العرب من خلال المنهج الاستقرائي التحليلي.

أولا: تتبع البحث لفظ " إله " في الآية ٨٤ من سورة الزخرف " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله " فقد تكرر لفظ " إله " نكرة ومعروف عند أهل اللغة أن اللفظ النكرة إذا تكرر دل على أن الثاني غير الأول ، أما المعرفة إذا تكررت كان الثاني عين الأول .وهذا يقودنا إلى إشكال ،فثمة إله في السماء وإله في الأرض- سبحانه- ولكن علماء القراءات وجدوا مخرجا من هذا الإشكال في قراءة بعض الصحابة وبعض التابعين- رضي الله عنهم- " وهو الذي في السماء الله " .ووجد أهل اللغة مخرجا لغويا أن كلمة " إله " وقعت صلة للاسم الموصول المعرفة(الذي) وأن " إله " خبر لمبتدأ محذوف تقديره

(هو) فقد وقعت خبرا لمعرفة وفي سياق صلة الموصول المعرفة، فكأنما اكتسبت بذلك التعريف، فليس ثم تكرار.

ولكن البحث يرى أن التكرار مقصود في الآية؛ إذ إنه يشير إلى الاستحقاق الإلهي، وهو العبودية الخالصة لذاته العلية في فعال من قبلها طواعية إذ أخبر القرآن عنها لأنها من الغيبيات، كقوله تعالى: " ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته " الرعد آية ١٣، وفي فعال من حمل الأمانة فلم يؤدها حق أدائها" إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظَلُومًا جَهُولًا " الأحزاب آية ٧٢

ثانيا: عني البحث بكلمة (سواء) وتتبع مسارها اللغوي الغريب في القرآن الكريم وأشعار العرب. فهي تقع اسما جامدًا فتكون مصدرًا بمعنى العدل، والقصد،

والاستواء، وتكون اسما بمعنى غير، وحسْب، ووسط – بفتح– السين، وتكون ظرفا بمعنى وسْط – بسكون السين، وتكون اسما مشتقا بمعنى اسم الفاعل (مستوٍ).

وقد تعمل عمل الفعل (استوى) في بعض المواضع التي تقع فيها بمعنى المصدر (استواء) أو اسم الفاعل (مستو) فترفع الفاعل وتنصب المفعول. وقد دعَّمت كل هذه المواضع بالآيات القرآنية وأشعار العرب.

ثالثا: تتبع البحث علة ورود فعلي الأمر: "أرضعيه" "فألقيه" في الآية السابعة من سورة القصص "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم"، وعلاقة الأمر الأول: الإرضاع بالأمر الثاني: الإلقاء.

رابعا: تتبع البحث الاستعمال اللغوي للفعل (نَّزل) والفعل (أنزل) في القرآن الكريم، فقد ذهب بعض علماء اللغة إلى أن (أنزل) لمطلق الإنزال دفعة واحدة؛ لقوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر" وأن (نزّل) تعني التنزيل منجما، وقد أثبت البحث أن لا فرق بين الفعلين في الاستعمال القرآني؛ إذ المسند إليهما في القرآن كله الله سبحانه وتعالى، وهما متعديان أحدهما بالهمزة والآخر بالتضعيف، وأيضا يتعديان لنفس صنوف المتعدي إليه (الكتاب، التوراة، الفرقان، الذكر، القرآن...)، ويتعديان أيضا إلى (الرحمة، السكينة ،الملائكة، الحديد، الغيث) أضف إلى ذلك أن الفعلين يتعاقبان في القراءات القرآنية، أيضا يتعاقب مصدر كل منهما على فعل الآخر في بعض القراءات.

خامسا: عُني البحث بتتبع أتم آية في موضوعها في القرآن الكريم، وذلك باختيار الآيات القرآنية التي انفردت بمعان تحمل قضايا عقدية أو تشريعية أو تنظيم العلاقات بين الجماعات والأفراد فيما يحمل توجيهات أخلاقية، بحيث لم ترد تلك الأمور إلا في الآية بعينها مما يُعد انفرادات انفردت بها الآية القرآنية. وذلك مثل انفراد الآية ١٥٨ من سورة البقرة بذكر شعيرة الصفا والمروة في الحج أو العمرة،

كذلك الآية ٢٥٥من سورة البقرة التي انفردت بذكر الكرسي، والآية١٠٢من سورة النساء التي انفردت بتشريع صلاة الخوف، والآية٣٥ من سورة النور التي انفردت بوصف تقريبي لمصدر النور في الكون النور الإلهي.

هذا وبالبحث مواضع أخرى جمعت أتم آية في موضوعها .

ABSTRACT

The research focused on some vocabulary of the language, and traced its linguistic path in Qur'anic verses and in Arab poetry through the inductive and analytical approach .

First: The research traced the word "Allah" in verse 84 of Surat Az-Zukhruf "And it is He lie.. Allah] who is the only deity in the heaven, and on the earth the only] deity." The word "Allah" was repeated indefinitely, and it is known to linguists that if an indefinite word is repeated, it indicates that the second is not the first, while if a definite word is repeated, the second is the same as the first. This leads us to a problem, as there is Allah in the heaven and Allah on the earth glory be to Him but the scholars of readings found a way out of this problem in the reading of some of the Companions and some of the Followers may Allah be pleased with them -"And it is he Allah in the heaven." The linguists found a linguistic way out, that the word "Allah" was a relative clause for the definite relative pronoun (who) and that "Allah" is the predicate of a deleted subject, the meaning of which is (he), so it was the predicate of a definite word and in the context of the relative clause of the definite word, so it was as if it acquired the definition by that, so there is no repetition .

But the research finds that repetition is întended in the verse, as it refers to the divine entitlement, which is the pure servitude to His Most High Self in the actions of those

who voluntarily accepted it, as the Qur'an informed about it because it is from the unseen, as the Almighty said: "And the thunder exalts | Allah with praise of Him and the angels (as well) from fear of Him" (Al-Ra'd: 13), and in the actions of those who carried the trust and did not perform it properly: "Indeed, We offered the Trust to the heavens and the earth and the mountains, and they declined to bear it and feared it: but man undertook to bear it. Indeed, he was unjust and ignorant (Al-Ahzab: 72). Secondly, the research focused on the word (sawa') and followed its strange linguistic path in the Holy Qur'an and the poetry of the Arabs. It is a solid noun, so it is an infinitive meaning justice, purpose, and leveling. It is a noun meaning other than, just, and a middle with a fatha sin. It is an adverb with the meaning of middle with a sukün as a sin. It is a derived noun in the sense of the active participle (level .(

It may function as the verb (istawa) in some places where it occurs in the meaning of the source (istawa) or the active participle (mustawa), raising the subject and placing the object in the accusative. All of these topics were supported by Qur'anic verses and Arab poetry .

Thirdly, the research follows the reason for the occurrence of the command verbs "suckle him" and "cast him into the river in the seventh verse of Surat Al-Qasas "And And We inspired the mother of Müsa (Moses): (telling): "Suckle him [Mûså (Moses)], but when you fear for him, then cast him into the river" and the relationship of the command. The first is suckle, the second is cast .

Fourth: The research traced the linguistic use of the verb (he revealed) and the verb (revealed) in the Holy Qur'an Some linguists have argued that (revealed) refers to the

absolute revelation at once, due to Allah Almightys saying, "Indeed, we sem it down on the Night of Power," and that (revealed) means the revelation as an astrologer. The research has proven that there is no difference between the two verbs in Quranic usage. Since the reference to them in the entire Qur'an is God Almighty, and they are transitive, one with the hamza and the other with the weak, and they also transit with the same types of transitive ones (the Book. the Torah, the Criterion, the Dhikr. the Qur'an...). They also extend to (mercy, serenity, angels, iron, rain). In addition, the two verbs alternate in Qur'anic readings, and the source of each of them alternates with the verb of the other in some readings .

Fifth: The research aimed to trace the most complete verse in its subject in the Holy Qur'an, by selecting Quranic verses that were unique in meanings that carried doctrinal or legislative issues or regulated relations between groups and individuals in a way that carried moral directives, so that these matters were only mentioned in the specific verse, which are considered unique to the Qur'anic verse. This is like the uniqueness of verse 158 of Surat Al-Baqarah in mentioning the ritual of Safa and Marwa in Hajj or Umrah, as well as verse 255 of Surat Al-Baqarah, which was unique in mentioning the Throne, and verse 102 of Surat An-Nisa, which was unique in legislating the prayer of fear, and verse 35 of Surat An-Nur, which was unique in providing an approximate description of the source of light in the universe, the divine light .

كلمة المؤلف

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم والصلاة والسلام على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه.

صدق الحبيب المصطفى حيث قال عن القرآن الكريم:" لا يخلق على طول الرد".

فكلُّ مبتغٍ يجد فيه مبتغاه، وكلُّ صاحب علم يجد فيه منحاه، إذْ كلّما تدبرتَه فاضت معانيه بأسرارها وألقت ألفاظه بإيحاءاتها.

يقول عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ): "اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعًا من اللفظ هو به أخصّ وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذًا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل".[1]

وفى هذه الوريقات بعض مما ركنتْ نفسي إليه من إيحاءات المعاني والألفاظ في بعض آي القرآن الكريم، أو ما جادت به الصنعة اللغوية في التراكيب القرآنية.

والله أسأل التوفيق، ولله القصد، وإليه السبيل ومنه الفضل والمنّة.

مقدمة البحث

تناول البحث:

أولا: ملمحا لغويًا دقيقًا في تنكير وتكرار لفظ (إله) في الآية ٨٤ من سورة الزخرف، وعرض البحث موقف القرّاء وآراءهم، وآراء النحاة وتوجيهاتهم، وما جادت به الآية من إيحاءات ومعانٍ للباحث.

ثانيا: عُنى البحث باستعمال كلمة (سواء) ومسلكها اللغوي الغريب في القرآن الكريم وفي لغة العرب متمثلة في أشعارهم.

ثالثا: عُنى البحث بإيضاح علة اجتماع فعلي الأمر "أرضعيه" و"فألقيه" في الآية السابعة من سورة القصص.

رابعا: تتبع البحث من خلال الاستعمال القرآني الفعلين (أَنزلَ ونزَّل) لمعرفة هل ثمة فرق بين الفعلين في المعنى والاستعمال اللغوي، كما ذهب إليه الراغب الأصبهاني، أو أنَّ الاستعمال القرآني خلاف ذلك.

خامسا: عُني البحث باختيار الآيات القرآنية التي انفردت بمعانٍ تحمل قضايا عقدية أو تشريعية أو تنظيم العلاقات بين الجماعات والأفراد فيما يحمل توجيهات أخلاقية، بحيث لم ترد تلك الأمور إلا في الآية بعينها، وقد انفردت الآية القرآنية بهذه الأحكام أو التشريعات أو الأخلاقيات دون غيرها.

أولا: تكرار كلمة " إِلَٰهٌ" في قوله تعالى

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ (٢)

يرى علماء اللغة أنّ ثمة إشكالا في هذه الآية الكريمة من سورة الزخرف؛ لأنّ لفظ (إله) في الآية تكرر نكرة، ومتعارف عليه عند أهل اللغة أنَّ اللفظ النكرة إذا تكرر دلّ على متعدد، فتكون اللفظة النكرة الثانية غير الأولى، أمَّا اللفظ المعرفة إذا تكرر كان عين الأول(٣)، وهذا يمثل إشكالا، إذ إله في السماء، وإله في الأرض – سبحانه– فكأن ثمة متعددا.

رُوى أنّ جابر بن عبد الله قال:" لما نزلت: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشروا لن يغلب عسرٌ يسرين"(٥)، إذ تكرر: العسر" معرفة، فكان الثاني عين الأول، وتكرر الـيسر" نكرة فكأنَّ ثمة عسرًا يقابله يسران(٦).

وقد وجد علماء القراءات مخرجًا للإشكال في آية الزخرف، وذلك في القراءة المنسوبة لسيدنا علي بن أبي طالب ولسيدنا عمر بن الخطاب ولعبد الله بن مسعود– رضي الله عنهم– ولغيرهم إذ رويت" في السماء الله".

قال ابن خالويه (٣١٤هـ): "وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله" عليّ– رضي الله عنه– وعبد الله بن مسعود –رحمه الله– ويحيي بن يعمر، واليماني، وجماعة"(٧).

وقال أبو جعفر النحاس(٣٣٨هـ): "وفي حرف عبد الله" وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله....."(٨) .

وقال أبو حيّان(٧٤٥هـ): "وقرأ الجمهور "إله" فيهما، وقرأ عمر، وعبد الله، وأُبي، وعليّ والحكم بن أبي العالي، وبلال بن أبي بردة، وابن يعمر، وجابر، وابن

زيد، وعمر بن عبد العزيز، وأبو الشيخ الهنائي، وحميد، وابن مقسم، وابن السميفع: "الله" فيهما"[٩].

ولكن يزال الإشكال قائما؛ إذ إنَّ قراءة الجمهور" إله" نكرة في الموضعين.

ودائما للنحاة طريقهم وطريقتهم في مسالك اللغة؛ إذ لهم أقوال في جملة الصلة التي ورد فيها لفظ "إله" تُعدُّ مخرجا من إشكال تكرار النكرة الذي يفيد التعدد.

فسيبويه (١٨٠هـ) في باب: "ما يكون الاسم فيه بمنزلة الذي في المعرفة"[١٠]. يذكر أنّ الاسم الموصول يكون معرفة حينا ونكرة حينا بحسب ما بعده، فإذا قلت في (ما) أو (مَنْ) الموصولتين: (مررت بمَنْ صالحٍ) فجعلت(صالح) صفة مجرورة إتباعا لمحل (مَنْ) كانت (مَنْ) في موضع نكرة، إذ وصفتها بالنكرة وإذا قلت: (مررت بمَنْ صالحٌ) فرفعت صالحٌ كانت (مَنْ) دالة على معرفة، إذ جعلت ما بعدها صلة لها، وكان ما بعدها خبرًا لمبتدأ محذوف، وهو صدر جملة الصلة تقديره: (هو صالح)، فتكون الصلة جملة اسمية سماها سيبويه (حشوا).

وعلى ذلك إذا اعتبرتَ ما بعد الاسم الموصول جملة صلة، أي حشوا كان ما بعدها كالاسم الموصول في حكم المعرفة؛ إذ إنها صلة لمعرفة واقعة في سياقها فتكون كلمة (إله) صلة (للذي) المعرفة وتكون واقعة في سياق المعرفة لأنها صلة الموصول.

يقول سيبويه تعليقا على البيت المنسوب لكعب بن مالك الأنصاري[١١].

فكفى بنا فَضْلا على مَنْ غيرِنا حبُّ النبيِّ محمدٍ إيَّانا

" فالوصف كقولك: مررُت بمَنْ صالحٍ؛ فصالح وصف، وإن أردت الحشو قلت: مررتُ بَمْن صالحٌ، فيصير (صالحٌ) خبرًا لشيء مضمر، كأنك قلت: مررتُ بمَنْ هو صالحٌ، والحشو لا يكون أبدا لـ(مَنْ وما) إلا وهما معرفة؛ وذلك من قِبل أنَّ الحشو إذا صار فيهما أشبهتا الذى، فكما أنّ الذي لا يكون إلا معرفة، لا يكون(ما ومَن) إذا كان الذي بعدهما حشوا وهو الصلة إلا معرفة"[١٢].

إذن عند سيبويه أنّ جملة الصلة مهما وقعت فيها النكرات تكون بالضرورة واقعة في سياق المعرفة وصلة لها.

يقول أبو عليّ الفارسيّ (٣٧٧هـ): "والفرق بين الصلة والصفة أن الصلة لا تكون إلا جملة، والصفة قد تكون اسمًا مفردًا.."[١٣].

ويقول أبو سعيد السيرافي (٣٨٢هـ): "والحشو لا يكون أبدا لـ(من وما) إلاّ وهما معرفة، وذلك من قبل أنّ الحشو إذا صار فيهما أشبهتا (الذي)"[١٤].

إذن جملة الصلة واقعة في سياق المعرفة وصلة لها.

وعلى ذلك جعل النحاة التقدير في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ أي: هو إله، فيكون ثمة ضمير محذوف يقع مبتدأ، ويكون إله خبرًا له.

يقول الزَّجاج (٣١٦هـ):" فالتقدير **وهو الذى هو في السماء إله**"[١٥].

وعند النحاة أن طول الكلام دعَّم الحذف، أي حذف الضمير، وكذلك دعَّمه طولا وجود الجملة المعطوفة" ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ؛" إذ إنها داخلة في حيز الصلة بالعطف[١٦].

وعلى ذلك لا يكون ثمة تكرار لمعنى النكرة عند النحاة؛ لأنها واقعة في جملة توفر فيها عدة معارف: الاسم الموصول (الذي)، والضمير المحذوف(هو) الواقع مبتدأ، فتكون النكرة (إله) داخلة في حيز المعارف؛ لأنها صلة الموصول المعرفة، كما أن(إله) في كلتا الجملتين خبر للضمير المحذوف المقدر في كل جملة بـ(هو) والضمير يحتل أول رتبة في المعارف بعد العلم[١٧].

يقول السمين الحلبي (٧٥٦هـ): قوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾ في السماء متعلق بـ"إله"؛ لأنه بمعنى معبود، أي معبود في السماء ومعبود في الأرض، وحينئذ فيقال: الصلة لا تكون إلا جملة أو ما في تقديرها وهو الظرف وعديله. ولا شيء

منها هنا، والجواب أنّ المبتدأ حُذف لدلالة المعنى عليه، وذلك المحذوف هو العائد تقديره ﴿**وهو الذى هو في السماء إله وهو في الأرض إله**﴾ وإنما حذف لطول الصلة بالمعمول، فإنَّ الجارَّ متعلق بـــ"إله"... وحسّنه طوله بالعطف عليه"(١٨)"

هذا ما ذكره علماء اللغة في هذا الموضع.

وأرى أن هذا التكرار في الآية بلفظ النكرة " **إِلَٰهٌ** " مقصود بعينه إذ إنه قول (**مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) (١٩).

أبدأ توضيح هذه الفكرة بذكر الفرق بين مفهوم لفظة (ربّ) وبين مفهوم لفظة (إله) فالربُّ هو المعطي المانح، أمّا الإله فهو المعبود، فيكون المعنى في الآية (هو الذي في السماء معبود وفي الأرض معبود).

وهذا يسوقنا إلى سؤال: هل الله يعبد في السماء كما يُعبدُ في الأرض؟ بمعنى آخر: هل استحقاق الألوهية وهي العبادة في فِعال أهل السماء مماثلة لما عليه في فعال أهل الأرض؟ بمعنى آخر: هل استحقاق الألوهية بالخضوع لذاته تعالى في فِعال من خضعوا لذاته طواعية مماثلة لفعال من أعمل فكره وحمل الأمانة؟

لم يترك القرآن الكريم الإجابة؛ إذ إنها من الغيبيات، لذلك حمل القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة لقطات تجسد صور هذا الاستحقاق الإلهي.

يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو ذر الغفاري: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّتْ السماء وحُقّ لها أن تئطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا وما تلذذتم بالنساء على الفُرش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالى".(٢٠)

فإذا انتقلنا إلى الآيات القرآنية التي تصور من خضعوا لله طواعية وهي آيات كثيرة. قال تعالى:﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ (٢١).

ويقول تعالى:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾(٢٢).

ويقول تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾(٢٣).

ويقول تعالى: ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ (٢٤).

ولا يزال القرآن الكريم يصور لنا مدلول الاستحقاق الإلهي في أحوال مَنْ حمَّلوا أنفسهم التبعة والأمانة، يقول تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ (٢٥)

ويصور لنا القرآن الكريم مفهوم الألوهية عند من اتخذوا من دون الله آلهة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾(٢٦) فإذا كان مفهومه في نظر هؤلاء الشرك، فانظر إلى مفهوم آخر تحمله الآية الآتية ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ (٢٧).

ويجسد القرآن فريقين من الناس ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(٢٨) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ (٢٩).

فوقوع النكرة "إله" متكررة في سياق الآية لا يعنى تعدد الذات الإلهية- سبحانه- إنما هذا ملمح يشير إلى مدلول الاستحقاق الإلهي وهو العبودية الخالصة لذاته العلية في فِعال من قبلها طواعية وفي فعال مَنْ أعمل فيها هواه ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (٣٠).

***

ثانيا: كلمة (سواء) ومسارها اللغوي

مسلك كلمة (سواء) في اللغة غريب؛ وذلك على مستوى النص القرآني أو في كلام العرب متمثلا في أشعارهم.

فتقع (سواء) اسما جامدًا فتكون مصدرًا بمعنى العدل أو القصد أو الاستواء، وتكون اسما يدل على المكان بمعنى (وَسَط) بتحريك السين بالفتح، وتقع بمعنى (غير)، وبمعنى (حَسْب)، وتقع ظرفا للمكان بمعنى (وسْط) بسكون السين، وتقع اسمًا مشتقًا بمعنى اسم الفاعل (مستوٍ).

وقد تعمل عمل الفعل بمعنى (استوى) في بعض المواضع التي تقع فيها بمعنى المصدر أو اسم الفاعل، فترفع فاعلا وتنصب مفعولا.

وسأعرض كل هذا هنا فيما هو آت.

(سواء) عند معظم النحاة في الأصل (مصدر). يقول المرزوقي: "وسواء مصدر في الأصل وصف به" (٣١).

ويجعلها الفّراء(٢٠٧هـ) مصدرا بمعنى (العدل) في قوله تعالى: ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا ﴾ (٣٢).

يقول الفراء: "وهي في قراءة عبد الله: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، وقد يقال في معنى عدل: سِوى وسُوى يراد به عدل ونَصَفٌ بيننا وبينكم، قال الله تبارك

وتعالى في سورة طه: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾[٣٣]، وسُوى يراد به عدل ونصفٌ بيننا وبينك"(٣٤).

وكذا فسرها أبو بكر السجستاني (٥٣٣٠)[٣٥]، والراغب الأصبهاني (٥٥٠٢) أو (٥٥٦٥) [٣٦]، ويفسر الراغب الأصبهاني قوله تعالى: ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [٣٧]. بالعدل، قال: " أي عدلٍ من الحكم"[٣٨].

وكذا فسرها الأخفش فيما نقله المرزوقي، قال: "وقال الأخفش: سِوى وسواءٌ في معنى العدل، وفي القرآن ﴿إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا﴾ وفي موضع آخر: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [٣٩].

وفي بيت زهير[٤٠]

أَرُونا خطةً لا عَيْبَ فيها يُسوى بيننا فيها السَّواءُ

يفسر أبو حيان (٧٥٤هـ) كلمة (سواء) بالعدل، يقول: "سواء" اسم بمعنى استواء مصدر استوى، وصف به بمعنى مستوٍ، فتحمل الضمير. قالوا مررتُ برجل سواءٍ والعدم، قالوا أصله العدل، قال زهير: (يسوي بينها فيها السواء)[٤١].

وتأتي (سواء) مصدرا بمعنى (القصد) وذلك في قوله تعالى﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٤٢].

قال الفراء (٢٠٧هـ): "وسواء" في هذا الموضع (قصد)، وقد تكون (سواء) في مذهب (غير) كقولك للرجل: أتُيت سواءك[٤٣].

وكذلك فسرها في قوله تعالى: ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [٤٤]. قال الفراء: " إلى قصد الصراط"[٤٥].

ويفسر أبو بكر السجستاني (٣٣٠هـ) (سواء) ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [٤٦] بمعنى القصد والوسط- بفتح السين- يقول "وسط الطريق وقصد السبيل"[٤٧].

وكذلك فسر أبو حَيَّان (سواء) في: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٤٨).قال: "وسواء السبيل وسطه وقصده المؤدي إلى القصد. وهو الذى شرعه الله(٤٩)".

وكذلك قوله تعالى:﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٥٠)، قال أبو حيان: "أي "أي وَسَط السبيل وقصده، أي هم حائرون لا يهتدون إلى مستقيم الطريق"(٥١)

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٥٢)، قال أبو حيان: "وهو السبيل السوي الذي هو وَسَط في الدين وهو خيرها، فلا إفراط ولا تفريط بل هو سواء معتدل خيار"(٥٣).

وكذلك فسرها المرزوقي بمعنى (وَسَط) في قول يحيى بن منصور:

وجدنا أبانا كان حَلَّ ببلْدةٍ سِوى بين قَيْسٍ قيسِ عَيْلانَ والفِزْرِ

قال المرزوقي: "سِوى في موضع جر على أنه صفة لبلدة، والمعنى: وجدنا أبانا ببلدة متوسطة لديار قيس بن عيلان وسعد بن زيد مناة"(٥٤).

ويفسرها المرزوقي بـــ(وَسَط) في بيت بلعاءَ بن قيس الكناني:

غشّيتُهُ وهو في جأواءَ باسلةٍ عَضْبًا أصابَ سواءَ الرأسِ فانْفلقَا

يقول المرزوقي: "... بسيف قاطع أصاب وَسَط رأسه فشقّه. والسواء الوسط ها هنا. وفي التنزيل: ﴿في سواء الجحيم﴾ ويوضع موضع المصدر ثم يوصف به، وفي التنزيل: ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ (٥٥).

وفي حديث ابن مسعود: "يوضع الصراط على سواء الجحيم". وجاء في اللسان أي وَسَطه(٥٦).

وفي بيت حسان بن ثابت ينعى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–:

يا ويحِ أصحابِ النبيِّ ورهطِهِ بَعْدَ المُغَيَّبِ في سواءِ المُلْحَدِ

أي وسَطه[٥٧].

واستعملت أيضا مصدرا على ما وضعت له، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُون**﴾[٥٨]، قال أبو حيان: "سواء عليكم" أي: "دعاؤكم إياهم وصمتكم عنهم سيان، فكيف يعبد من هذه حاله"[٥٩]، فتكون مبتدأ خبره (عليكم).

وكذلك جاءت بمعنى المصدر (استواء) أو (اعتدال) في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**﴾ [٦٠]، قال الفراء :" فانبذ إليهم على اعتدال، وسواء من الأمر"(٦١)، وقال أبو حيان: "على استواء في العلم أو في العداوة"[٦٢].

وتأتي اسما جامدا أيضا بمعنى (حَسْب) على ما ذكر الفَّراء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ**﴾ [٦٣]، قال الفرّاء: " وربما جعلت العرب (سواء) في مذهب اسم بمنزلة (حسبك) فيقولون: رأيت قوما سواء صغارهم وكبارهم، فيكون كقولك: مررت برجلٍ حَسْبك أخوه"[٦٤].

ومما يدل على أنها تستعمل في اللغة استعمال الأسماء الجامدة – غير المصادر– ما ذكره أبو علي الفارسي أنها تجمع جمع تكسير على (أفعال). قال: "وقالوا قوم أسواء، أي مستوون، وأنشد أبو زيد:

هلاّ كوصـــل ابـــنِ عمـــار تواصـــلني ليس الرّجـــالُ وإن سُـــوُّوا بأســـواءِ

فـــ(أسواء) ليس يخلو من أن يكون جمع (سِيّ) (التي مثناها سيَّان) أو سواء. فإن كان جمع (سِيّ) فهو مثل : مِثل وأمثال...، وإن كان جمع (سواء)، فهو مثل ما حكاه أبو زيد من قولهم: "جواد وأجواد"[٦٥].

وعند سيبويه أن (سواء) في الأصل ظرف وتستعمل استعمال الأسماء، فتأتي بمعنى (غير). يقول سيبويه عن الأسماء التي تستعمل ظروفا وتخرج عن الظرف في الشعر إلى أن تستعمل استعمال الأسماء: "واعلم أنَ هذه الأشياء كلها قد تكون أسماء غير ظروف.... ومن ذلك أيضا: هذا سَوَاءك، وهذا رجل سَوَاءك، فهذا بمنزلة (مكانك) إذا جعلته في معنى (بَدَلك)، ولا يكون اسما إلا في الشعر. قال بعض العرب لما اضطرّ في الشعر جعله منزلة (غير) قال الشاعر وهو رجل من الأنصار:

ولا ينطقُ الفحشاءَ من كــان مــنهُمُ إذا قعدوا مِنَّا ولا مِنْ سِوائِنا"(٦٦).

أي تستعمل مجرورة استعمال الأسماء، ويقول أبو عليّ الفارسيّ:" فأمَّا (سواء) فإنها تستعمل ظرفا، تقول: إنّ سواءك زيدا، كما تقول : إنَّ عندك زيدا، فجعله الشاعر اسما في قوله (لسوائكا) وجعله بمنزلة (غير) إذ كانت بمعناها، وإذا كانت كذلك أجمع عامة العرب فيما زعم أبو الحسن أنهم يستعملونه ظرفا ولا يستعملونه اسما، ومثل ذلك قولهم (وسْط) الساكن الأوسط، هي تستعمل ظرفا، فإذا اضطر الشاعر استعمله اسما كقول الفرزدق:

[أتته بمجلوم كــأنّ جبينَــهُ صلاءةُ ورسٍ وسْــطُها قــد تفلقــا

فجاءت (وسْط) مبتدأ"(٦٧).

ويقول الراغب الأصبهاني "ويستعمل ذلك وصفا وظرفا، وأصل ذلك مصدر"(٦٨).

ويقول ابن هشام في المُغني:" وعند سيبويه والجمهور أنها ظرف مكان ملازم للنصب لا يخرج عن ذلك إلا في الضرورة" ويقول:" ورد على من نفى ظرفيتها بوقوعها صلة، قالوا (جاء الذى سواك)" (٦٩).

وقد وقعت (سواء) ظرفا في القرآن الكريم بمعنى (وسْط) بسكون السين في قوله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٧٠) قال أبو بكر السجستاني: (وسط الجحيم)(٧١)، وكذلك فسرها في قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ (٧٢).

وتخرج (سواء) عن مسيرة الأسماء الجوامد وتأتي اسما مشتقا بمعنى (مستوٍ) أو (متساوٍ) مثل قراءة (سواءٍ) بالجر في قراءة الحسن في قوله تعالى: ﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾(٧٣) فالجر على الصفة لـــ" أيام" أو لـــ" أربعة" مؤولة باسم الفاعل (مستويات).

قال الفراء: "نصبها عاصم وحمزة، وخفضها الحسن، فجعلها من نعت" الأيام" وإن شئت من نعت (الأربعة) ومن نصبها جعلها متصلة بالأقوات(٧٤)".

فالنصب على المصدر فتكون بمعنى (استواء).

وكذلك تؤول باسم الفاعل في قوله تعالى:﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (٧٥) أي متساوين.

وتؤول أيضا باسم الفاعل في كلام العرب، وذلك في بيت السموءل بن عادياء اليهودي(٧٦).

سلي إنْ جهلتِ الناسَ عنَّا وعـــنكمُ وليس ســـواءً عـــالٌم وجهـــولُ

قال المرزوقي: "والسواء يكون مصدرا ووصفا في معنى: مستوٍ. يقال: هذا درهمُ سَوَاءُ، أي: مستوٍ، وهذا درهم سواء، أي: استواء، كما تقول: هذا درهم تماما، أي تمَ تماما، وفي القرآن: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾، أي مستويات، وقرئ: "سواءً" على المصدر، كأنه قال: استواء. حكى أبو الحسن الأخفش: هما سواءٌ وهما سواءان"(٧٧).

وقد تعمل (سواء) عمل الفعل عندما تؤول بالمصدر أو باسم الفاعل.

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم﴾ (٧٨)، فقد قرئت بجر "سواءٍ" صفة لـــ"كلمة" فتؤول باسم الفاعل (مستوية). وقرئت بنصب "سواءً" مؤولة بالمصدر (استواء)، فتكون مفعولا مطلقا على تقدير (استوى استواء)، أو بالنصب على الحال. وفي كلتا الحالتين فهي تعمل عمل الفعل فتنصب (بيننا) على الظرفية. قال أبو حيان:

"وقرأ الجمهور (سواءٍ) بالجر على الصفة. وقرأ الحسن "سواءً" بالنصب. وخرّجه الحوفيّ والزمخشريّ على المصدر، قال الزمخشري بمعنى استوت استواء. فيكون "سواء" بمعنى استواء. ويجوز أن يُنصب على الحال من " كلمة" وإن كان نكرة ذو الحال، وقد أجاز ذلك سيبويه وقاسه بالصفة، والحال والصفة يتلاقيان من حيث المعنى، والمصدر يحتاج إلى إضمار عامل، وإلى تأويل "سواء" بمعنى (استواء). والأشهر استعمال (سواء) بمعنى اسم الفاعل أي مستوٍ"(٧٩).

وفي كلتا الحالتين إذا عددته مصدرا أو اسما للفاعل ، فالظرف "بيننا" منصوب بـــ"سواء" يقول أبو حيان: " والظاهر انتصاب الظرف بـــ"سواء"(٨٠).

وترفع "سواء" كلمة "أمة" على الفاعلية في قوله تعالى:﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّه﴾ (٨١)، وقد أوّلتْ" سواء" في الآية باسم الفاعل بمعنى "مستوٍ".

فـــ" سواء" في الآية خبر "ليس" وهي اسم فاعل تعمل عمل الفعل، فترفع كلمة "أمّة" على الفاعلية، يقول الفراء(٢٠٧هـــ): "ورفع الأمة على وجهين: أحدهما أنك تكرُّهُ على "سواء" كأنك قلت: لا تستوي أمّة صالحة وأخرى كافرة، منها أمّة كذا وأمة كذا"(٨٢).

ويقول أبو حيان: "وقال الفراء: أمة مرتفعة بـــ" سواء" أي ليس أهل الكتاب مستويا، مِنْ أهل الكتاب أمّة قائمة موصوفة بما ذكره وأمّة كافرة .." (٨٣).

وتؤول "سواء" بالمصدر (استواء) وتعمل عمل الفعل فترفع الفاعل في قوله تعالى: ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾ (٨٤)، "مَن" الموصولة في محل رفع فاعل لـــ "سواء" أي يستوي منْ أسرّ القول .. إلخ.

قال الفراء: (٢٠٧هـــ): "مَن" "ومَنْ" في موضع رفع، الذى رفعهما جميعا" سواء" ومعناهما: أنّ منْ أسرَّ القول أو جهر به فهو يعلمه" (٨٥) أي: الله يعلمه.

وترفع "سواء" الفاعل (العاكف) على تقدير أنها مصدر بمعنى (استواء) أو على تقدير أنها اسم فاعل بمعنى (مستوٍ) في قوله تعالى: ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَاد ﴾ (٨٦).

فقد قرأ حفص "سواء" بالنصب على تقدير أنها مفعول مطلق بمعنى استوى استواء، أو على تأويل اسم الفاعل (مستوٍ) فتكون منصوبة على الحال، وفى كلتا الحالتين تكون" العاكف" مرفوعة على الفاعل لكلمة "سواء".

وقرأها الباقون بالرفع على الاستئناف فتكون" العاكف" مبتدأ مؤخرا و"سواء" خبرا مقدما على أنها مصدر في معنى اسم الفاعل، وهكذا قال مكي بن أبي طالب: "وحجة من نصب أنه جعله مصدرا عمل فيه "جعلناه" كأنه قال: سوينا فيه بين الناس سواء، وارتفع" العاكف" بـــ"سواء" كأنَّه قال: مستويا فيه العاكف، فهو مصدر في معنى اسم الفاعل، كما قالوا: رجل عدل، أي عادل... ويجوز أن يكون "سواء" انتصب على الحال، وإذا نصبته على الحال جعلته حالا من المضمر في قوله "للناس" (٨٧).

وترفع "سواء" الفاعل في قوله تعالى:﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾(٨٨).

فقد قرأ حفص وحمزة والكسائي "سواء" بالنصب على تقدير أنها مصدر بمعنى (استواء) فتُنصب على أنها مفعول به ثانٍ للفعل" نجعلهم" أو أن تكون حالا بمعنى اسم الفاعل (مستوٍ) وفى التأويلين تعمل عمل الفعل فترفع "محياهم" فاعلا، ويكون صاحب الحال الضمير "هم" في الفعل" نجعلهم".

وقد قرأ الباقون "سواء" بالرفع فتكون خبرا مقدما لـــ"محياهم"(٨٩).

ونظير هذا من كلام العرب، ما جاء في بيت محرز بن المكعبر الضبيّ

فهَلا سَعَيْتمُ سَــعْى عُصــبةِ مــازنٍ وهل كفلاَئِي في الوفاءِ ســواءُ

يقول المرزوقي: "و(سواء) وإن كان في الأصل مصدرا، فقد صار هنا كأسماء الفاعلين لنيابته عنها، ولذلك صح أن يعمل في الظروف قبله وهو قوله (في الوفاء)؛ لأن المصادر لا تعمل فيما قبلها إلا إذا أمر بها كقولك: ضربا زيدا، أو إذا أجري هذا المجرى" (٩٠).

فذلك مسلك كلمة (سواء) في اللغة بين الاسم الجامد والظرفية والاسم المشتق وبين الاسم المعمول فيه، والاسم العامل عمل فعله. على المستوى اللغوي في القرآن الكريم، والمستوى اللغوي في أشعار العرب.

***

ثالثا: الأمر في الآية السابعة من سورة القصص

قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ (٩١).

تضمن الوحي في الآية فعليّ أمر، الأول "أرضعيه" الذي جاء بعد "أنْ" التي يطلق عليها النحاة (أن) التفسيرية، وهى تقع بعد ما يفيد القول دون حروفه مثل: (أرسل، أوحى- أشار- كتب، عرف).

والأمر الثاني "ألقيه" جاء جوابا لـــ"إذا" الظرفية التي تتضمن معنى الشرط. و(إذا) التي تفيد معنى الشرط تختلف عن أم الباب (إنْ) الشرطية، ليس فقط في أنها حرف و(إذا) اسم، إنما (إنْ) الشرطية تفيد عدم التحقق من وقوع الجواب نظرا للشك في حدوث الشرط، على عكس (إذا) التي تفيد التأكد من وقوع الجواب نظرا للتحقق من وقوع الشرط.

لذلك آثر النص القرآني استخدام (إذا) في هذا الموضع من سورة القصص، وكذلك في الآيات القرآنية التي تحمل القضايا العقدية التي تمثل الغيبيات لتحقق وقوعها في علمه- سبحانه وتعالى-، قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٩٢)، وقال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ (٩٣). إذ هذا محقق وقوعه في علمه سبحانه وتعالى.

ولكن ما علاقة الأمر الأول الإرضاع " أَنْ أَرْضِعِيهِ" بالأمر الثاني الإلقاء في اليم" فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ"؟! كي يتواليا في آية واحدة؟!! ولماذا يسبق الإلقاء في اليم الإرضاعُ؟! ولماذا يأتي هذا الإرضاع بوحي وأمر من الله – سبحانه وتعالى-؟!

يبدو من الوهلة الأولى أنْ ليس ثمّة ارتباط بين الأمرين لكن تظهر علة الربط بينهما. بحيث يسبق الإرضاع الإلقاء في قوله تعالى من نفس السورة: ﴿وَحَرَّمْنَا

عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾ (٩٤)؛ فقد حرّم الله عليه غير سبيل أمه سبيلا، فلكي تتعانق الأسباب مع الإرادة الإلهية كان الأمر بالإرضاع قبل الإلقاء كي يتعرف الطفل على سبيله، حتى إذا ما عُرض عليه عرفه، وإذا عرض على غيره عافاه، أضف إلى ذلك أنْ ربما تلهت الأم عن الإرضاع؛ بتلهفها على إخفاء وليدها، فيكون الوحي حاميا للرضيع المعدّ لحمل رسالة السماء بالأمر" أَنْ أَرْضِعِيهِ" كي يتحقق وعد ربنا في آخر الآية﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٩٥).

***

رابعا:(نَزّل- أنزل- نَزل) في القرآن الكريم

النزول "هو انحطاط من علوّ"(٩٦)، ويرى الراغب الأصبهاني أن ثمة فرقا بين معنى الفعل (أَنْزل) والفعل (نَزّل)، فالأول يفيد عموم الإنزال والثاني يفيد التنزيل متفرقا يقول: "والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة، أنّ التنزيل يختص بالموضع الذى يشير إليه إنزاله متفرقا، ومرة بعد مرة، والإنزال عام"(٩٧).

لذا يرى الراغب أن النص القرآني آثر استخدام الفعل أنزل في قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة مباركة"(٩٨) وقوله تعالى: ﴿" شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾(٩٩) وقوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ"﴾ (١٠٠) يقول الراغب: "وإنما خُصّ لفظ الإنزال دون التنزيل لما روى أنّ القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ثم نزل نجما فنجما(١٠١).

فأنزل عنده تعني الإنزال دفعة واحدة، ونزّل تعني التنزيل منجما.

ويرى البحث أن الفعلين يتفقان معنى واستعمالا في القرآن الكريم على خلاف ما ذهب إليه الراغب الأصبهاني.

فثمة مبحث في العربية في أبنية الأفعال التي على بناء (فعل وأفعل بمعنى) أي يتحد فيه البناءان في المعنى والعمل، "يقال: جَلَب الجرحُ وأجلبتْ" (١٠٢) أي أوشك على البرء. اتحد الفعلان في المعنى والعمل فكلاهما فعل لازم.

وقد يتعدى الفعلان بمعنى "يقال نزفتُ العبرة وأنزفتها لغتان معروفتان وتميم تقول: أنزفتُ العبرة" (١٠٣)، ومثل ذلك لو قلت: سقى القوم وأسقى القوم وغلق الباب وأغلق الباب.

وقد يختلف فعل وأفعل في المعنى لكن يتفقان في العمل سواء اللزوم أو التعدي. فمثال المتفقين في اللزوم يقال شتَّ الشيءُ تفرّق وأشتّ بفؤادي أي دخل به الشتات، أي التفرق، وقال الطِّرماح:

"شتّ شَعْبُ الحيّ بعد التئام"(١٠٤)

ومثال ما اختلف من فعل وأفعل في المعنى واتفقا في التعدي "يقال: هديتُ العروس إلي زوجها، فهي مهدية إليه، ولا يقال أهديتُها إلا من الهدية التي يتهاداها الناس بينهم"(١٠٥) .

وكذلك يقال: "عمرتُ الدارَ: سكنُتها، ولا يكون إلا عمُرتها..... وأعمرتها وجدتها عامرة"(١٠٦).

فالأفعال في الأمثلة السابقة كلها أبنية على وزن فعل وأفعل الهمزة في أفعل من بناء الفعل.

هذا على خلاف الهمزة في الفعل (أنزل) فهي للتعدية؛ إذ حولت الفعل اللازم (نزل) إلى متعدٍ بالهمزة وكذلك الفعل (نزّل) تعدى بالتضعيف إلى المفعول به.

وباستقراء آيات القرآن الكريم نجد الفعل (نزل) لم يُسند للحق- سبحانه وتعالى- على عكس الفعلين المتعديين (أنْزل ونزّل)، إذ بتعديهما يتحقق تمام القدرة الإلهية التي يمثلها قوله تعالى:﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١٠٧).

فالمسند إليه جبريل في قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾[١٠٨] والمسند إليه الضمير العائد على (ما) في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[١٠٩]، والمسند إليه الضمير المستتر العائد على الْقرآن معنًى في قوله تعالى ﴿ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾[١١٠].

وإذ يتفق الفعلان (أنزل ونزّل) في المسند إليه (الله) – سبحانه وتعالى – كذلك يتفقان في صنوف المتعدي إليه فيهما، إذ يتعديان إلى الكتاب، الفرقان، القرآن، التوراة الإنجيل، والذكر".

قال تعالى:﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾[١١١] و﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[١١٢] و ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾[١١٣]و﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾[١١٤] و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾[١١٥]" و﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾[١١٦].

وقال تعالى﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ﴾[١١٧]و ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾[١١٨] و﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾[١١٩] و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[١٢٠] و﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾[١٢١].

ويتعدى الفعلان أيضا إلى صنوف الرحمة التي يترلها الله على عباده، قال تعالى ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾[١٢٢] و﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾[١٢٣] و ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ ﴾[١٢٤]و﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾[١٢٥]و﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[١٢٦]

ويقول تعالى ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[١٢٧] و﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾[١٢٨]و﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾[١٢٩]كذلك يؤيد رسله بالمعجزات﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ" ﴾[١٣٠].

ما سبق يدل على أن الفعلين (أنزل ونزَّل) يتفقان في المعنى وفي الاستعمال اللغوي بتعديهما، ثم التعدي لصنوف المتعدى إليه.

أضف إلى ذلك أن الفعلين يتعاقبان في القراءات القرآنية، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾[١٣١] رُوى أنّ ابن كثير من السبعة قرأ: "ونُنَزل" بنونين[١٣٢] أي من الفعل (أنزل) وقرأ الباقون:" (ونُزّل) بنون واحدة مشددة الزاي لم يسم فاعله"[١٣٣] أي من الفعل (نزّل).

يضاف إلى ذلك أيضا أن الفعلين في القراءتين السابقتين تعاقبا على مصدر واحد، قال سيبويه في (باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل لأن المعنى واحد)[١٣٤] "وزعموا أنّ في قراءة ابن مسعود" وأُنزل الملائكة تنزيلا" لأن معنى أُنْزل ونُزّل واحد"[١٣٥].

فالفعل(أُنزل) في قراءة ابن مسعود يكون مصدره (إنزالا) ولكن جاء قوله تعالى(تنزيلا) مصدرا للفعل(نَّزل) مثلما جاء في قوله تعالى﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[١٣٦] فحقه(إنباتا) على القياس.

وإذ يقول الراغب أنّ التنزيل يختص بـــ"إنزاله مفرقا ومرة بعد مرة"[١٣٧] فانظر إلى قوله تعالى ﴿وَهُوَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا " ﴾[١٣٨].

لذا يرى البحث أنّ الفعلين يتفقان معنًى واستعمالا لتعديهما لنفس صنوف المتعدى إليه، وتعاقبهما في القراءة القرآنية، وتعاقبهما على مصدر واحد، يقول سيبويه "..... أَنزَل ونزّل واحد"(١٣٩).

***

خامسا: أتم آية في موضوعها

تعددت وجوه اعتناء أهل اللغة بآي القرآن الكريم فعالجوا قضاياه المختلفة فيما يعرف بعلوم القرآن. ويكفي أن نستعرض وجوه اهتماماتهم هذه فيما عرضه الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، والسيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن). فقد بلغت عناية أهل اللغة بكلام القرآن الكريم أن تتبعوا ما انفردت به بعض آياته من ملامح لغوية أو بلاغية أو فقهية، وغير ذلك مما يندرج تحت مسمى علوم القرآن.

فمثال ما انفردت به بعض الآيات بظواهر لغوية، ما نقله السيوطي عن أكثر آية اشتملت على عدد من الضمائر في القرآن الكريم (الآية٣١) من سورة النور قال: "قال مكي: ليس في كتاب الله آية اشتملت على ضمائر أكثر منها، فإن فيها خمسة وعشرين ضميرًا"(١٤٠).

فهو يشير هنا إلى عدد ضمائر النسوة في الآية؛ لكن لو تتبعنا بقية الضمائر المستترة، وأيضا الضمائر الظاهرة في الآية المتمثلة في واو الجماعة والضمير (ها) والضمير (كم) لكان عددها أربعين ضميرًا. قال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ**

الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٤١).

ومثال ما عدّه علماء اللغة أبلغ آية في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة هود (الآية ٤٤): ﴿ وقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وذلك لما فيها من إيجاز للحدث، وتناسب الألفاظ لمقتضيات معانيها، واستجابة الجماد لقدرة خالقه، كما أنّ بناء الأفعال للمفعول (للدلالة علي الجلال والكبرياء وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكون قاهر، وأنّ فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله) (١٤٢).

قال أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) عن هذه الآية: (والذي قال إنها مجاز قال: لو فُتّش كلام العرب والعجم ما وجُد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها وبلاغة وصفها واشتمال المعاني فيها)(١٤٣)، وقال ابن المقفع فيما نقله عنه أبو حيان: "هذا الكلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله"(١٤٤)، وذكر أيضا أبو حيان "أنّ أعرابيا سمع هذه الآية فقال هذا كلام القادرين"(١٤٥).

وفي مجال علم الفقه ثمة آية منفردة استدل بها الإمام الشافعي على صحة الأخذ بإجماع الأمة مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي، وذلك في قوله تعالى في سورة النساء (الآية ١١٥): ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

وفي مجال التفسير ذهب بعض علماء اللغة إلى أن أرجى آية في القرآن الكريم (الآية ٥٣) من سورة الزمر، وذلك فيما ذهب إليه عبد الله بن عمرو – رضي الله

عنهما –﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٤٦).

وفي نفس المسار يسير هذا البحث باختيار الآيات القرآنية التي انفردت بمعان تحمل قضايا عقدية، أو تشريعية، أو تنظيم العلاقات بين الجماعات والأفراد فيما يحمل توجيهات أخلاقية، بحيث لم ترد تلك الأمور إلا في الآية بعينها مما يُعد انفرادات الآيات القرآنية بهذه الأحكام أو التشريعات أو الأخلاقيات. وسيكون عرض هذه الآيات موافقا لترتيبها بالمصحف الشريف بحسب ترتيب السور والآيات ويتم التعليق على الآية بما تقضيه الحاجة.

وأول ما يقابلنا من هذه الآيات الآية ١٥٨من سورة البقرة التي تشرِّع للسعي بين الصفا والمروة بوصفها شعيرة من شعائر الحج والعمرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ والصفا والمروة علمان لجبلين معروفين، والألف واللام بينهما لغلبة الاستعمال كما نقول (البيت) للكعبة المشرفة (١٤٧).

ويقال في سبب نزول الآية "أنّ الصحابة تأثموا من السعي بينهما؛ لأنه من عمل الجاهلية، فنزلت"(١٤٨).

أتم آية في أحكام الهدي لمن أُحصر عند أداء الحج بالعدُوّ أو بالمرض على اختلاف توجيهات الفقهاء في التفرقة بين من أحصر بالعدوّ أو أحصر بالمرض(١٤٩). وأحكام الهدي لمن أتمَّ حجه متمتعا بالعمرة حتى الحج، وفرض الصوم لمن لا يستطيع تقديم الهدي وذلك في الآية رقم ١٩٦من سورة البقرة ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ

الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، ولا تعارض في أن هذه الآية أتم آية في أحكام الهدي بما جاء في الآية٣٦من سورة الحج ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ لأن هذه الآية الأخيرة لا تتضمن حكم الهدي وميّ يجب أداؤه، وإنما تؤكد فضل هذه الشعيرة، وتوضح كيفيه التصرف في لحومها"(١٥٠).

أتم آية في شرح حاليّ: التعجيل بالرجم في يومي التشريق، أو البقاء بالتأخر إلي اليوم الثالث من أيام التشريق، فلم يرد بالقرآن الكريم إشارة لذلك إلا في الآية ٢٠٣ من سورة البقرة ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ .

الآية ٢٥٥من سورة البقرة المتفردة بذكر (الكرسيّ) وبه سميت آية الكرسيّ. قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾، والكُرْسيّ بضم الكاف وسكون الراء وكسر السين وتشديد الياء، ويقال بكسر الكاف. (١٥١).

ويقال الكرسيّ مقصود به العلم، ويقال قدرته سبحانه وتعالى – واتفق أهل العلم على صحة ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما – أن الكرسي موضع

القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره [١٥٢]، ونقل أبو حيان في تفسيره "وثبت في صحيح مسلم من حديث أبيّ أنها أعظم آية. وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن قارئها إذا أوى إلى فراشه لن يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح وورد أنها تعدل ثلث القرآن[١٥٣] ".

أتم آية تضع قاعدة تشريعية تنظم مبدأ الدعوة إلى الإسلام بالحسنى الآية (٢٥٦) من سورة البقرة قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [١٥٤].

وقد ترتب على هذه القاعدة ألا يكلف الرسول – صلي الله عليه وسلم- نفسه جهدا لهداية الناس قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ يونس الآية ٩٩.

وكذلك قوله تعالى ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ الكهف آية ٦لأن دلائل وجوده سبحانه وتعالى ملء الكون تبصرة وهدى، قال تعالى ﴿**سَنُرِيهِمْ آ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ فصلت: آية ٥٣.

أتم آية تضع تعريفا بالوصف لمن يُطلق عليهم (فقراء) الآية ٧٣ من سورة البقرة ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾

أتم آية تُعد قاعدة أخلاقية تضمن تأمين حقوق المستباحة أرضهم بالغزو الآية ٩٤من سورة النساء ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا**

تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾.

تعددت الروايات في سبب النزول، ففي صحيح مسلم من "حديث ابن أبي شيبة قال: بعثنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في سرية فصبحّنا الحُرَقَات من جهينة، وأدركتُ رجلا فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي –صلى الله عليه وسلم– فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أقال: لا إله إلا الله فقتلته، قال: قلتُ: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا. فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيتُ أني أسلمت يومئذٍ"(١٥٥).

أتم آية والمنفردة بتشريع صلاة الخوف الآية ١٠٢ من سورة النساء﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنّ صلاة الخوف تخص الرسول–صلي الله عليه وسلم– أي لم تشرع إلا له أخذًا بظاهر النص " **اذا كنت فيهم فأقمت لهم** "، ولكن الجمهور يرى أن الخطاب للرسول ومن يتولى الأمر بعده (١٥٦) .

أتم آية والمنفردة بوصف تقريبي لمصدر النور في الكون النور الإلهي، الآية ٣٥ من سورة النور﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ

لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فالآية تقرب إلى الأذهان وصفًا للنور الإلهي الذي أُضيئت به الأكوان، هذا لو تجاوزنا تأويلات المفسرين للفظة (نوره) فقد قيل النور مقصود به الآيات البينات، وقيل المراد الإيمان، وقيل المراد بالنور المؤمن، وقيل يعود على القرآن الكريم، وقيل يقصد بالنور الرسول – صلى الله عليه وسلم– (١٥٧) .

انفردت الآية ٨٢ من سورة النمل بذكر الدّابة التي تخرج آخر الزمان. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

وخروج الدابة من علامات الساعة كما ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – قال رسول – الله – صلى الله عليه وسلم– "ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، طلوع الشمس من مغربها، والدّجال، ودابة الأرض" وثمة علامات آخري(١٥٨).

أتم آية تصور دورة الحياة النباتية كاملة على الأرض وذلك في الآية ٢١من سورة الزمر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

ولا تعارض في أنّ هذه الآية أتم آية في بابها بما جاء في الآية ٢٤ من سورة يونس ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ

بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾وأيضا لا تعارض في ما جاء في الآية ٢٠ من سورة الحديد ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ إذ إنّ آية سورة الزمر تصور الدورة الكاملة لحياة النبات منذ نزول المطر إلى تحول النبات إلى حطام .

انفردت الآية ٥١ من سورة الشورى بالنص على سبل الاتصال بين السماء والأرض. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾

أتم آية تضع قاعدة أخلاقية تتضمن التحقق من صدق الأخبار قبل التعجل بالظن الآية ٦من سورة الحجرات ﷺ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ يروى في سبب نزولها أن الحرث بن ضرار قدَم على الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأسلم وتحمل مسئولية جمع الزكاة من قومه بني المصطلق، وحدد له رسول الله – صلى الله عليه وسلم- توقيتا يرسل إليه رسولا في ذات التوقيت لأخذ الزكاة فأتى الحرث مع قومه إلى المدينة لأداء الزكاة متعجلا لكن كان رسول الله قد أرسل رسولا لأخذ الزكاة، و لم يذهب المُرسَل إلى بني المصطلق، وكذب على رسول الله أنهم منعوا عنه الزكاة وكادوا يقتلونه فلما جاء بنو المصطلق إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- علم صحيح الأمر فنزلت الآية.(١٥٩) .

وذكر الشنقيطي أن الذي كذب على الرسول- صلى الله عليه وسلم- ونزلت فيه الآية هو الوليد عقبة بن أبي معيط(١٦٠) .

أتم آية انفردت بوضع أسس رأب الصدع ووسائل الردع بين الفئتين المتقاتلتين من المسلمين الآية ٩ من سورة الحجرات ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

ذكر الفراء في سبب نزول الآية أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ذهب لزيارة عبد الله بن رواحة الأنصاري فتطاول عبد الله بن أبّي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فغضب قوم هذا وقوم هذا حتى اقتتلوا بالأيدي والنعال فنزلت الآية(١٦١).

انفردت الآية الأولى من سورة القمر بذكر معجزة انشقاق القمر قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ، فقد ورد في السيرة أن أهل مكة طلبوا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر، فعن "عبد الله بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فلقين فستر الجبلُ فلقةً وكانت فلقةٌ فوق الجبل ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– اللهم اشهد"(١٦٢).

انفردت الآية ١١ من سورة المجادلة بذكر أدب من آداب المجالس، وفضل السماحة فيها، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

انفردت الآية ١٠من سورة الممتحنة بذكر الموقف الشرعي للمؤمنات المهاجرات من أزواجهن الكفار؛ إذ لا يحللن لهم، قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

هذا ما جادت به الآيات وللمستدرك الفضل.

نتائج البحث

١- القرآن الكريم مجال واسع للدراسات اللغوية بجميع مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والتراكيب الأسلوبية.

٢- أهمية الربط بين القراءات القرآنية عند دراسة مفردات القرآن لإلقاء الضوء على توافق بعض الدلالات اللغوية لبعض القراءات رغم اختلاف البناء الصرفي.

٣- دراسة المعنى اللغوي للفظ القرآن وربطه باستعمال العرب في أشعارهم؛ لتتبع تنامي اللفظ دلاليا.

٤- يختلف منهج كلّ من القراء والنحاة فى تناول بعض ما أُشكل فى القرآن من أساليب لغوية، ولكلٍّ وجهته المعتبرة فى مجالها.

٥- السياق اللغوي يتحكم في دلالات الألفاظ فيما نسميه بدلالات السياق اللغوي، ومن ثم يتحكم في التوجيه النحوي.

فهرس المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تقديم وتعليق د/ مصطفى ديب البُغا. دار ابن كثير- دمشق- بيروت- الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- إعراب القرآن المنسوب للزّجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأنباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٦/٥١٩٨٦م.
- إعراب القرآن للنحاس لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب.
- التعليقة على كتاب سيبويه لأبي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق د. عوض بن حمد القوزي، الطبعة الأولي، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، دار الفكر ط الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، ط الثالثة، دار المعارف.
- الجامع الكبير للإمام الحافظ أبي عيسي محمد بن عيسي الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١٩٩٦م.
- الحجة في علل القراءات السبع لأبي على الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق على النجدي ناصف، عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

- ديوان زهير بن أبي سلمة، شرحه وقدم له الأستاذ/ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- شرح أبيات سيبويه لأبي محمد بن يوسف بن أبي سعيد السيرافي، ط دار الفكر العربي ومكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- شرح ديوان الحماسة لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، ط الثانية، لجنة التأليف والترجمة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ج٧، ط دار الكتب والوثائق المصرية.
- صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت.
- غريب القرآن لأبي بكر السجستاني دراسة وتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية، دمشق.
- فعلت و أفعلت لأبي حاتم السجستاني، تحقيق ودراسة د. خليل إبراهيم العطية، جامعة البصرة، ط١٩٧٩م.
- الكتاب لسيبويه أبي بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط الهيئة العامة للكتاب.
- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق أ.د/ شوقى ضيف، ط الثانية، دار المعارف.
- الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، ط مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- لسان العرب لابن منظور، ط. دار المعارف.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، حقق هذا الجزء وخرجه وعلق عليه: عادل مرشد، دار الرسالة العالمية.
- معاني القرآن لأبي زكريا بن زياد الفرّاء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد على النجار، ط٣، ٢٠٠١م.
- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدى عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- مُغني اللبيب من كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد على صبيح.
- المفردات في غريب القرآن الراغب الأصبهاني حسين بن محمد للدكتور محمد أحمد خلف الله، الأنجلو المصرية.

الهوامش والإحالات:

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد خلف الله، ود. محمد زغلول سلام، ط الثالثة، دار المعارف، ص١١٧.

(٢)الزخرف: آيه ٨٤.

(٣)انظر مغْني اللبيب من كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد على صبيح٢/٦٥٦.

(٤)الشرح (٥-٦).

(٥)المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، حقق هذا الجزء وخرجه وعلق عليه: عادل مرشد، دار الرسالة العالمية، ج٤ ص٦٩٤، حديث رقم(٣٩٩٤).

(٦)وينقل ابن هشام (٧٦١هـ) في المُغني عن الكشاف ما لم أجده فيه، أنّ معنى(لن يغلب عسر يسرين) في كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكرارا للأولى فتكون هي هي، أو أن تكون جملة مستأنفة فيكون(العسر) متبوعا (باليسر) لا محالة، فثمة يسران على تقدير الاستئناف والعسر واحد، سواء أكانت(ال) في العسر للجنس أم للعهد فهو هو، ويكون في الاستئناف معنى جديد، فاليسر الأول ما تيسر لهم من الفتوح في زمنه صلى الله عليه وسلم واليسر الثاني ما تيسر في أيام الخلفاء الراشدين، ثم يتبع ابن هشام هذا الكلام بما يبدو أنه يرتضيه، وهو رأي لبعض النحاة مضمونه:" فالتقدير: إن مع العسر في الدنيا يسرًا في الدنيا، وإن مع العسر في الدنيا يسرا في الآخرة فتحققنا اتحاد العسر، وتيقنا أنّ له يسرا في الدنيا ويسرا في الآخرة". مُغني اللبيب من كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة محمد على صبيح، ٢/٦٥٨، ٦٥٩، وهذه المسألة عالجها ابن هشام ضمن مجموعة المسائل النحوية تحت عنوان" في التحذير من أمور اشتهرت بين المعربين، والصواب خلافها" مُغني اللبيب ٢/٦٥٠ وما بعدها.

(٧)مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة، ص ٣١٧، وهذا النص ورد في هذا الموضوع هكذا(وهو الذى جعل في السماء..) بزيادة كلمة(جعل) وأرى ما ذكرته هو الصحيح.

(٨)إعراب القرآن للنحاس لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ١٢٢/٤.

(٩)تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، دار الفكر ط الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ٢٩/٨.

(١٠)الكتاب لسيبويه أبي بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط الهيئة العامة للكتاب ،١٠٥/٢.

(١١) انظر شرح أبيات سيبويه لأبي محمد بن يوسف بن أبي سعيد السيرافي، ط دار الفكر العربي ومكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ،٣٧٢/١ في جر كلمة (غيرنا).

(١٢) الكتاب ١٠٧/٢.

(١٣) التعليقة على كتاب سيبويه للدكتور عوض القوزي ط الأولي٢٦٩/١، ٢٧٠.

(١٤) شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، ط دار الكتب والوثائق القومية، ٣٤/٧.

(١٥)إعراب القرآن المنسوب للزّجاج، تحقيق ودراسة إبراهيم الأنباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٦/٥/١٩٨٦م، ٨٢٧/٣ باب ما جاء في التنزيل من حذف هو من الصلة، وانظر أيضا ٦٧٥/٢، ٧٣٠.

(١٦) انظر الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان ،٤٢٨/٣.

(١٧) يقول سيبويه عن الضمير ويسميه الإضمار:" إنما صار الإضمار معرفة؛ لإنك إنما تضمر اسما بعد ما تعلم أنّ مَنْ تعني وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه" الكتاب ٦/٢، وانظر أيضا ٨٠/٢-٨١.

(١٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ٦٠٩/٩.

(١٩) سورة النمل آية ٦.

(٢٠) الجامع الكبير للإمام الحافظ أبي عيسي محمد بن عيسي الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١٩٩٦م، المجلد الرابع، ص١٤٥، رقم الحديث (٢٣١٢).

(٢١) الرعد آية ١٣.

(٢٢)الإسراء آية٤٤.

(٢٣) الأنبياء آية١٩/٢٠.

(٢٤) فصلت :أية ٣٨.

(٢٥) الحج: آية ١١.

(٢٦) الزمر آية ٣.

(٢٧) الفرقان آية ٤٣

(٢٨) محمد، آية ١٦، ١٧.

(٢٩) عبس آية ١٧.

(٣٠) الاحزاب آية ٧٢.

(٣١)شرح الحماسة لأبي علي أحمد بن الحسن المرزوقي ٢٦٩/١، تحقيق أحمد أمين ، وعبد السلام هارون، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٦٨م.

(٣٢) آل عمران، آية ٦٤.

(٣٣) طه آية ٥٨.

(٣٤)معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ٢٢٠/١، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ط٣، ٢٠٠١م.

(٣٥) انظر غريب القرآن ، لأبي بكر السجستاني، تحقيق: أحمد عبد القادر صلاحية ص ٢١٩،

(٣٦) انظر المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصبهاني، تحقيق د. محمد أحمد خلف الله، الأنجلو المصرية، ص٣٦٧.

(٣٧)الانفال آية ٥٨.

(٣٨) المفردات في غريب القرآن ، ص٣٦٧.

(٣٩) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٢٦/١.

(٤٠)ديوان زهير بن أبي سلمة، شرحه وقدم له الأستاذ/ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م،ص٢٠ ونصه في الديوان أرونا سنة.

(٤١)هكذا وردت في هذا الموضع. تفسير البحر المحيط ٤١٤/٤، وانظر أيضا: ٣٤٧/١.

(٤٢) البقرة آية ١٠٨.

(٤٣) معاني القرآن للفراء ٧٣/١.

(٤٤)سورة (ص) آية ٢٢.

(٤٥)معاني القرآن للفرّاء ٤٠٣/٢.

(٤٦) البقرة آية ١٠٨.

(٤٧)غريب القرآن لأبي بكر السجستاني ص٢١٧.

(٤٨) المائدة آية ١٢.

(٤٩) تفسير البحر المحيط ٤٤٥/٣.

(٥٠) المائدة آية ٦٠.

(٥١) تفسير البحر المحيط ٥٢٠/٣.

(٥٢) المائدة آية ٧٧.

(٥٣) تفسير البحر المحيط ٥٣٩/٣.

(٥٤) شرح الحماسة : ٣٢٦/١

(٥٥) شرح الحماسة : ٦٠/١، والعضب: القطع. جأواء: اخضرار السلاح، وباسلة : شجاعة.

(٥٦)المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج٩ص٢٣٠، رقم الحديث (٨٩٩٢)، انظر اللسان: (سوا).

(٥٧) انظر اللسان: (سوا).

(٥٨) الأعراف: ١٩٣.

(٥٩) تفسير البحر المحيط: ٤١٤/٤.

(٦٠) الأنفال: ٥٨.

(٦١) تفسير البحر المحيط: ٥٠٩/٤.

(٦٢)تفسير البحر المحيط: ٥١٠/٤، قال النحاس: " هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه" إعراب القرآن للنحاس ١٩٢/٢.

(٦٣) الجاثية: ٢١.

(٦٤) معاني القرآن للفراء: ٤٧/٣، وانظر أيضا ٢٢٢/٢.

(٦٥)الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق على النجدي ناصف، عبد الفتاح شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٨٦/١.

(٦٦) الكتاب لسيبويه ٤٠٧/١، ٤٠٨، وكذلك انظر ٣١/١.

(٦٧) الحجة لأبي على الفارسي ١٨٧/١، ١٨٨، وتتمة البيت من الحجة، ج١ص٢٨، والمجلوم: المحلوق، والصلاءة: مدق الطيب، والورس: نبت أصفر.

(٦٨) المفردات في غريب القرآن ص٣٦٧.

(٦٩) مُغني اللبيب ١٤١/١.

(٧٠) الصافات آية: ٥٥.

(٧١) غريب القرآن لابي بكر السجستاني ص٢٢٢.

(٧٢) الدخان آية :٤٧، وانظر اللسان(سوا)

(٧٣) فصلت آية :١٠.

(٧٤) معاني القرآن للفراء، ١٢/٣، ١٣.

(٧٥)النساء آية: ٨٩.

(٧٦) شرح الحماسة للمرزوقي، ١٢٣/١.

(٧٧) شرح الحماسة للمرزوقي ، ١٢٣/١.

(٧٨) آل عمران آية: ٦٤.

(٧٩) تفسير البحر المحيط، ٤٨٣/٢.

(٨٠) تفسير البحر المحيط، ٤٨٣/٢.

(٨١) آل عمران آية: ١١٣.

(٨٢) معاني القرآن للفراء، ٢٣٠/١

(٨٣) تفسير البحر المحيط: ٣٣/٣.

(٨٤) الرعد آية: ١٠.

(٨٥)معاني القرآن للفّراء، ٥٩/٢-٦٠..

(٨٦) الحج آية: ٢٥.

(٨٧)الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي محمد مكي أبي طالب القيسي، تحقيق د. محيي الدين رمضان، ط مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ١١٨/٢، وانظر معاني القرآن للفراء ٢٢١/٢، ٢٢٢.

(٨٨) الجاثية آية: ٢١.

(٨٩) انظر معاني القرآن للفراء ٤٧/٣، والكشف عن وجوه القراءات ٢٦٨/٢-٢٦٩.

(٩٠) شرح الحماسة للمرزوقي ١٤٥٧/٣.

(٩١) القصص آية ٧.

(٩٢) التكوير الآيات: ١-٤.

(٩٣) الانفطار الآيات ١-٤.

(٩٤) القصص آية ١٢.

(٩٥)القصص آية ٧.

(٩٦) المفردات في غريب القرآن ص٧٤٤.

(٩٧)المفردات في غريب القرآن ص٧٤٤.

(٩٨) الدخان: آية ٣.

(٩٩) البقرة آية ١٨٥.

(١٠٠) القدر آية ١.

(١٠١) المفردات في غريب القرآن ص٧٤٥.

(١٠٢) فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني، تحقيق ودراسة د/خليل إبراهيم العطية، جامعة البصرة، ط١٩٧٩م،ص٩٦.

(١٠٣) فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني ص ١٠٣.

(١٠٤) فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني ص ٢٠٠.

(١٠٥)فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني ص ١٠٩.

(١٠٦)فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني ص ١٢٠.

(١٠٧)الانعام آية ٧٣.

(١٠٨)الشعراء آية ١٩٣.

(١٠٩)الحديد آية ١٦.

(١١٠)الإسراء آية ١٠٥.

(١١١)آل عمران آية ٣.

(١١٢)آل عمران آية ٤.

(١١٣)آل عمران آية ٧.

(١١٤)الأنعام آية ١١٤.

(١١٥) الكهف آية ١.

(١١٦)الشورى آية ١٧.

(١١٧)الأعراف، آية ١٩٦.

(١١٨)الفرقان، آية١.

(١١٩)الزمر، آية٢٣.

(١٢٠)الحجر، آية ٩.

(١٢١)الإنسان، آية ٢٣.

(١٢٢) البقرة اية ٢٢.

(١٢٣)التوبة آية ٢٦.

(١٢٤) يونس آية ٥٩.

(١٢٥)الرعد، آية ١٧.

(١٢٦) الحديد، آية ٢٥.

(١٢٧) النحل، آية ٢.

(١٢٨)النور، آية ٤٣.

(١٢٩)لقمان، آية ٣٤.

(١٣٠)الحديد ، آية ٩.

(١٣١) الفرقان آية ٢٥.

(١٣٢) كتاب السبعة في القرارات لابن مجاهد ص٤٦٤، تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف، ط الثانية.

(١٣٣)كتاب السبعة لابن مجاهد ص٤٦٤.

(١٣٤)هذا ما اصطلح عليه اللغويون المحدثون باسم المصدر.

(١٣٥)الكتاب لسيبويه ٨٢/٤، وانظر المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف، د. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤١٥هـ/٢، ١٢٠/١٩٩٤، ١٢١، والكشف عن وجوه القراءات ١٤٦/٢.

(١٣٦) نوح الآية ١٧.

(١٣٧) المفردات في غريب القرآن ص٧٤٤.

(١٣٨)الأنعام آية ١١٤.

(١٣٩)الكتاب ٨٢/٤.

(١٤٠)الإتقان فى علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تقديم وتعليق د/ مصطفى ديب البُغا. دار ابن كثير– دمشق– بيروت– الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ٥٩٧/١.

(١٤١)الآية ٣١ من سورة النور.

(١٤٢)الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، ٢١٨/٢.

(١٤٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٦/٢، ٢٨٥.

(١٤٤)الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، ٢١٨/٢.

(١٤٥)تفسير البحر المحيط ٢٢٨/٥.

(١٤٦)انظر تفصيل كلام العلماء في تعدد الآيات التي تعد أرجى آية في الإتقان في علوم القرآن ١١٤٤/٢/١١٤٥.

(١٤٧)والألف في (الصفا) أصلها واو من (الصفو)، وهو (الخالص) ويقال معناه (الجمر) الذي لا يخالطه غيره من الطين أو التراب وقيل هو الصخرة العظيمة، و(المروة) مفرد جمعه بحذف التاء (المرو) مثل: تمر وتمرة، وقيل مروة الحجارة الصغار التي فيها لين، وقيل الجمارة الصلبة، انظر تفسير البحر المحيط ٤٥٤/١.

(١٤٨)الإتقان في علوم القرآن٩٤/١.

([149])انظر تفسير البحر المحيط ٢/٧٢وما بعدها.

([150])البدنة: الجمل" قال الحسن وقتادة أعلاها (بدنة) وأوسطه(بقرة) وأدناه(شاه)، وبه قال مالك وأبو يوسف. تفسير البحر المحيط ٢/٧٣ ، وانظر تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان، للشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفضيلة،ص٥٩.

([151])انظر إعراب القرآن للنحاس ١/٣٣٠.

([152])انظر لسان العرب ماده (كرس).

([153])تفسير البحر المحيط (٢/٢٧٦).

([154])ذكر سببان لنزول هذه الآية، قال أبو حيان" ذكر في سبب نزولها أقوال مضمون أكثرها أن بعض أولاد الأنصار تنصّر وبعضهم تهّود فأراد آباؤهم أن يكرهوهم على الإسلام فنزلت، وقال أنس نزلت فيمن قال له رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: أسلم فقال أجدني كارها .."تفسير البحر المحيط ٢/٢٨١.

([155])صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، لبنان– بيروت ٢/٩٩، وانظر إعراب القرآن للنحاس ١/٤٨٢، وتفسير البحر المحيط ٣/٣٢٨، فقد ذكر فيهما أنها نزلت في المقداد.

([156])انظر تفسير البحر المحيط ٣/٣٣٩

([157])انظر تفسير البحر المحيط ٦/٤٥٥.

([158])انظر صحيح مسلم ١٨/٢٨ وما بعدها .

([159])انظر معاني القرآن للفراء، ٣/٧١، وتفسير البحر المحيط ٨/١٠٩ .

([160])تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي، ص١٣٩٢ .

([161])انظر معاني القرآن للفراء، ٣/٧١، وتفسير البحر المحيط ٨/١٠٩

([162])صحيح مسلم ١٧/١٤٤،وفى حديث ابن أبي عدي فقال:" اشهدوا اشهدوا".